

وباء كورونا وما يتعلق به الدرس الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلي آله وأصحابه أجمعين .

وبعد:

إخوة الإيمان والإسلام . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مما لاشك فيه أن الإسلام بنظامه الكامل ومنهجه الواضح وهديه الرشيد لم يقف مكتوف الأيدي أمام أي كارثة أو مصيبة تحل بالناس وحياتهم . لكن يضع من الحلول الجذرية والقطعية والطرق الإيجابية ما إن أخذ الناس بها وساروا علي طريقها إلا وكشف الله تبارك وتعالى ما حل بهم من كوارث ومصائب وشدائد .

هذا والكوكب الأرضي الآن يعيش كارثة أو مأساة حقيقية تتمثل في وباء كورونا المتفشي والذي ظهر في بلاد الصين ثم بدأ في الإنتشار حتي وصل إلي كل دول العالم .

وجدير بنا أخوتي في الله أن نقوم بتوضيح وبيان منهج الإسلام وهديه الرشيد في نظرتة للأوبئة والطواعين وما يجب علي المسلم أن يفعله في ظل هذه الأوبئة وتصحيح فيما يتردد علي السنة بعض الناس في نظرتهم لهذا الوباء . وكذلك أيضا بيان ما يتعلق بهذا من أحكام فقهية وشرعية وما هي العبر والدروس المستفادة من هذا الوباء سائلين الله تبارك وتعالى أن يرزقنا الفهم السليم لآياته وأحكام دينه إنه ولي ذلك والقادر عليه اللهم آمين .
ولعلنا نبتدأ الحديث في ذلك ببيان وتوضيح نظرة الإسلام إلي الأوبئة والطواعين .

تتأسس وتقوم النظرة الإسلامية للأوبئة والطواعين علي منظومة السنن الإلهية التي أودعها الله تبارك وتعالى هذا الكون الذي نعيش فيه والتي أخبر الله تبارك وتعالى عنها بأنها سنن لا تتبدل ولا تتغير حيث يقول "فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا" فاطر42.

ومن هذه السنن التي أودعها الله تعالى الكون سنة الإبتلاء والفتنة ؛ إن الله تبارك وتعالى خلق الدنيا وأقامها لحكمة بالغة ولغاية مقصودة وجعلها دار إبتلاء وتكليف توطئة لدار الجزاء والبقاء في الآخرة . وهذه الغاية لا تتحقق إلا بطريق واحد يتمثل في الإبتلاء الذي يميز الله تبارك وتعالى به بين عباده .

وفي هذا يقول الحق سبحانه " تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شئ قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور " الملك 1-2

والحاصل في كلام المفسرين أن الله تبارك وتعالى بقدرته خلق الموت والحياة لغاية وهي الإبتلاء والإختبار ليمتاز من هو أحسن عملا من غيره ومن يستحق رضا الله ممن يحل عليه سخطه وعذابه .

والمراد بالعمل في الآية هو ما يشمل عمل القلب وعمل الجوارح ولذلك قال النبي صلي الله عليه وسلم في الآية " ليلوكم أيكم أحسن عملاً " وذكر الطبري ذلك في تفسيره عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلي الله عليه وسلم قال " أيكم أحسن عملاً وأردع عن محارم الله تعالى وأسرع في طاعه الله عز وجل " .

هذا ومن حكمة الله تبارك وتعالى أنه نوع وسائل الإبتلاء التي يختبر بها عباده لتكثر بذلك طرق الإنابة والرجوع إلي الله تعالى كل يتفق مع حالته التي أقامه الله فيها سواء علي مستوي الأمم أو الأفراد والجماعات . ولهذا لم تقف هذه الإبتلاءات عند حد الشرور والمصائب والأوبئة والأمراض وغير ذلك مما يكرهه الإنسان . بل تتجاوز إلي الإبتلاء بالنعم والمنافع والذات وذلك لكي يتقلب العبد بين الصبر والدعاء والإلتجاء إلي ربه والإعتصام به وبين الحمد والشكر والثناء لربه وصدق الله اذ يقول " ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون " . الأنبياء 25

يقول الإمام أبن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره للآية . أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط . والمراد بالشر والخير، الشدة والرخاء والصحة والسقم ، والغني والفقير ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهدي والضلال . أما قوله تعالى " وإلينا ترجعون " أي فنجازيكم بأعمالكم .

أما صور الإبتلاء فهي كثيرة ومنها .

1- الإبتلاء بالتكاليف وهي كل الأوامر والنواهي الشرعية التي جاءت على أيدي الرسل وفي الكتب المنزلة عليهم . ومن ذلك قول الله تعالى " إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولاً"

وكذلك قول الله تعالى "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً " الإنسان 2

وأيضا قوله تعالى "الذي خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملاً " . الملك 2

2- الإبتلاء بالمصائب والشدائد ومنه قول الله تعالى "ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه وأولئك هم المهتدون"

البقره (155-157)

3- الإبتلاء بالنعم والخيرات ومنه قوله تعالى "ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون" الأنبياء 25

4- الإبتلاء بالتفاوت بين الخلق على إختلاف أحوالهم وتفاوت صفاتهم وأعمالهم ومواهبهم ودرجاتهم ومنه قول الله تعالى "وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم إن ريك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم" الأنعام 165

هذا إذا ما نظرنا في القرآن الكريم الى ما يتعلق بالإبتلاء والضراء وما يصيب العباد من محن وكوارث وشدائد حسب المفاهيم القرآنية تأتي ردعاً للطغيان البشري والفساد في الأرض ومنه قول الله تعالى "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون" الروم 41

وبين ذلك النبي ﷺ ذلك فيما يرويه الإمام ابن ماجه وصححه الحاكم وحسنه الألباني من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال " أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال يا معشر المهاجرين خمس، إذا ابتليتم بهن ونزلنا بكم أعود بالله أن تدركون لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل الله بأسهم بينهم " .

وفي هذا الحديث تقرير وتأكيد للقاعدة الشرعية التي تكرر ذكرها في القرآن والتي تتمثل في أنه لا يقع بلاء ولا مصيبة إلا بسبب ذنوب العباد وخطاياهم . وفي ذلك يقول سبحانه "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" الشورى 30

هذا ومن خلال ما سبق نستطيع ان نقول بان فيروس كورونا هو مما ابتلى الله تبارك وتعالى به عباده ولعل من أسبابه والله أعلم. الفساد في التعامل مع البيئة والمصادر الطبيعية والظلم الذي نشهده على المستوى الفردي والجماعي والدولى بأنواعه المختلفه والإستخفاف بالإيمان والأخلاق والقيم والمبادئ والمثل .

وكما أنّ الإبتلاء بالضراء والكوارث والمحن والأوبئة والطواعين تأتي ردعاً للطغيان البشري والفساد في الأرض فهناك سنن مقابلة لذلك تتعلق بالسراء والخيرات وفتح البركات من السماء والأرض استجابة لنداء الله بالإصلاح في الأرض والتقوي والإستغفار من الأخطاء والعيوب وصدق الله اذ يقول "ولو أتأهل القري آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض" الأعراف 96

وهنا يأتي السؤال وهو في غاية الأهمية وهو: هل الفيروسات والكوارث عقوبة من الله وانتقام من البشر وما هي الحكم من الإبتلاء يكون ذلك في اللقاء القادم إن شاء الله رب العالمين .

نسأل الله تبارك وتعالى أن يرفع البلاء والوباء والمرض عن جميع البشر إنّه ولي ذلك والقادر عليه اللهم آمين وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛